

## منتصرون وخاسرون في حرب أوكرانيا للدويّ في كيف، تداعيات على الشرق الأوسط

تتخطى الحرب الروسية - الأوكرانية في أهميتها وخطورتها مجرياتها ونهاياتها المتعددة باحتمالاتها، ولن تترك أثرها على اوضاع البلدين وجوارهما الجغرافي المباشر، وإنما تمتد لتطاول في شراراتها وانعكاساتها دولا ابعد، مثل سوريا وتركيا وإيران، وقد تثير فيها تحولات وتطورات واسعة

ليس سرا القول ان المشهد السوري يفتح الباب امام قراءات ورهانات مختلفة على الحرب الروسية - الأوكرانية. لكن بداية لا بد من الإشارة الى ان سوريا كانت اول دولة عربية تتحرك وذلك في 22 شباط 2022 للاعتراف بمنطقتي لوغانسك ودونيتسك، وذلك بعد ساعات فقط على بدء الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، ما سماه العملية الخاصة في أوكرانيا، وعلان استقلال المنطقتين.

المهم في بيان الرئاسة السورية ايضا، انه يشير الى ان موقف دمشق "ينطلق من يقينها ان الازمة الأوكرانية هي مشكلة اوجدتها الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة لتقسيم الشعوب وتقويض الامن القومي الروسي".

بهذا المعنى كانت دمشق سباقة في اعلان موقفها المؤيد بوضوح الى روسيا، في الحرب

التي اشتعلت على البوابة الشرقية لاوروب، بعد سنوات من التوتر والاحتقان السياسي والامني. تأخذ دمشق في الاعتبار ان بوتين تحرك في العام 2015 دعما للقوات السورية في قتالها مع الجماعات المسلحة والارهابية، مما شكل تحولا في تطورات الحرب السورية وتداخلاتها الاقليمية.

في ما بدا تناغما روسيا - سوريا واضحا، اخدت دمشق في الاعتبار ايضا ان الجيش الروسي، وقبل اندلاع الحرب مع اوكرانيا بايام قليلة، نشر قاذفات طويلة المدى ذات قدرات نووية وطائرات مقاتلة تحمل صواريخ تفوق سرعتها سرعة الصوت في قاعدة حميميم الجوية، لتنفيذ احدي اكبر المناورات البحرية في المنطقة، وهو ما كان مثابة اكبر انتشار للبحرية الروسية في البحر المتوسط منذ زمن الحرب الباردة.

كان من الواضح ان موسكو كانت تستعد للاحتتمالات الأوكرانية - الغربية ضدها، اذ ان بيان وزارة الدفاع الروسية حول هذه المناورات، والذي توافق مع زيارة وزير الدفاع الروسي سيرغي شويغو للقاء الرئيس بشار الاسد، اشار الى ان هدف المناورات "حماية المصالح الوطنية، وصد التهديدات العسكرية ضد الاتحاد الروسي".

بهذا المعنى، تأهبت روسيا لخوض معركتها الأوكرانية على بعد الاف الكيلومترات من حدودها، مستفيدة من تحالفها الموثق مع دمشق، وموضعها العسكري هناك مما قد يعني ان خروج بوتين محققا اهدافه من الحرب، سينعكس بشكل مباشر على مسار العلاقات الروسية - السورية، وربما هذا الهم في المدى المنظور، على اوضاع الجبهات ومناطق النفوذ القائمة حاليا على الجغرافيا السورية.

ان رجحان كفة الحرب الأوكرانية لصالح روسيا، سيشجع للحلف الروسي - السوري ان صح التعبير، اطلاق يد اكثر حرية في حسم الاوضاع الميدانية في عدد من المناطق وخطوط التماس، وربما خضوع القوى الكردية المدعومة من الولايات المتحدة في شمال شرق سوريا، لظهور مرونة اكبر على خط مفاوضاتهم مع الحكومة السورية. بمعنى آخر، اذا حسمت روسيا معركتها الأوكرانية، ستكون قادرة على فرض ارادتها على الصعيد السوري بشكل حاسم، او ربما يقتصر التغيير على تشذيب المخالب التركية في الشمال السوري وادلب.

بدا موقف تركيا من الحرب الأوكرانية، في مراحلها الاولى، وحتى قبل اندلاع شرارتها، كانها اكثر ميلا نحو اوكرانيا، سواء باعترافها



من جلسات التفاوض النووية في فيينا.



المنزل الذي قصف في اربيل وقالت ايران انه مقر للموساد.

كل الاطراف السورية الداخلية والخارجية تتربق مآلات حرب بوتين. فدمشق تراهن على استعادة سيادتها الكاملة على اراضيها، والاكراد الذين يرتبطون بالقوات الاميركية يراهنون على دعم اضافي من واشنطن اذا لاحت لها فرصة تتمثل بهزيمة روسيا في اوكرانيا، فيما اردوغان الحائر على ما يبدو في خياره، مستاء اقله في الوقت الراهن، من ان الاتحاد الاوروبي تحرك سريعا لضم اوكرانيا الى عضويته ما ان تعرضت للهجوم الروسي، فيما تكافح انقرة فعليا منذ اكثر من عقدين من الزمن لاقناع الاوروبيين باحقيتها في دخول النادي الاوروبي، وتواجه احيانا كثيرة برفض يحمل في طياته عنصرية فوقية.

صحيح ان اردوغان ابلغ بوتين في 6 اذار، بأن تركيا مستعدة للمساهمة في التوصل الى حل سلمي للصراع في اوكرانيا، الا ان مسارعة انقرة الى تفعيل "اتفاقية مونترو" في 28 شباط، بعد ايام قليلة على بداية الحرب، شكلت بالتأكيد رسالة سلبية وان كانت ملتبسة نوعا ما، من جانب الاتراك نحو موسكو، قد تكون لها تداعياتها على العلاقات بين الطرفين. وقد يحتاج اردوغان الى بذل الكثير من الجهد من اجل اعادة ترميم علاقاته مع موسكو، مهما كانت نتائج الحرب المندلعة حاليا.

في هذه الاثناء، يراقب الروس المواقف الصادرة من ايران، لكي يبنى على الشيء مقتضاه عندما تضع الحرب اوزارها. لاحظت موسكو كيف ان ايران اعلنت رفضها للحرب، لكنها ادانت سياسات الغرب تجاه الازمة وفي استفزازه لروسيا، وهي، اي ايران، اكتفت بالامتناع عن التصويت على قرار اذانة روسيا في الجمعية العامة للامم المتحدة، مما يعني انها لم تعارضه صراحة، كما انها مثلا لم تحذو حذو سوريا، في المبادرة الى تأييد الحليف الروسي في قراره اعلان استقلال جمهوريتي دونيتسك ولوغانسك.

لعل الكلمة الفصل في الموقف الايراني صدرت عن مرشد الجمهورية السيد علي خامنئي الذي خرج في الاول من اذار الفائت، ليقول ان ما يحدث في اوكرانيا هو نتيجة السياسات الاميركية، منتقدا التدخل

”

دمشق اول

من ساند موقف روسيا

موسكو استفادت

من تموضعها في سوريا

“

سوريا، ووصف ذلك وقتها بأنه طعنة في الظهر من شركاء الارهابيين.

صحيح ان العلاقات تحسنت في السنوات اللاحقة وتبادل الرئيسان زيارات ولقاءات عدة، واستأنف السياح الروس الاقبال على المدن التركية وتعزز التبادل التجاري، لكن كان من الواضح ان اجواء ما قبل الحرب الأوكرانية، وقبلها حرب اذربيجان المدعومة تركيا على جمهورية ارمينيا، خلقت اجواء متوترة بين انقرة وموسكو. لكن المساهمة في قتل الجنود الروس وبالتالي المساهمة في عرقلة اهداف حرب بوتين، ستخلق بالتأكيد وضعا مغايرا تماما.



الرئيس الروسي فلاديمير بوتين والرئيس الإيراني إبراهيم رئيسي.

بينت الى التأكيد بعد 10 ايام على بداية الحرب، على الالتزام الاخلاقي لاسرائيل في جهودها لوقف الحرب، حيث بذلت جهود وساطة قام بها بينيت حيث زار موسكو وبرلين وذلك بطلب مباشر من زيلينسكي، فيما التقى وزير الخارجية الاسرائيلي يائير لابيد نظيره الاميري انتوني بلينكن، بينما تولى الرئيس الاسرائيلي اسحق هرتزوغ التواصل المباشر مع اردوغان، ليكون اول رئيس اسرائيلي يزور تركيا منذ العام 2003. جاء التحرك الاسرائيلي في ظل اجواء اشاعها الاعلام الاسرائيلي نقلا عن مسؤولين اسرائيليين بأن الحرب الروسية - الاوكرانية قد تؤدي الى التوقيع على اتفاق نووي سيمع ايران. ان الوساطة الاسرائيلية لم تثمر استجابة من موسكو ولم تساهم في إيقاف الحرب، مما شكل استمرارا للجرح الاسرائيلي، من دون ان يتضح ما اذا كانت استقالة امد الحرب ستضع اسرائيل في موقع المستمر بخسارته ولو المعنوية، ام ان اسرائيل ستتمكن في ما لو خمد القتال الروسي - الاوكراني، من اعادة حيابة نسيج علاقاتها المتداخلة ما بين عالمين اخذين في الافتراق بعمق، في الشرق وفي الغرب.

وتحديدا الولايات المتحدة، كانت تتوقع من اسرائيل موقفا واضحا وحازما من بوتين واندفاعه العسكري في اراضي اوكرانيا. اضطر رئيس الحكومة الاسرائيلي نفتالي

## اتفاقية مونترو

اعلنت انقرة تفعيل اتفاقية مونترو في 28 شباط الماضي، التي تنظم المرور البحري عبر مضيق البوسفور والدرنديل الاستراتيجيين، مما يسمح لتركيا، في حال نشوب حرب، بالحد من حركة السفن الحربية الروسية ما بين البحر الابيض المتوسط والبحر الاسود. ابرمت الاتفاقية في العام 1936، وهي تسمح لتركيا بموجب المادة 19، الحق في تنظيم عبور السفن واغلاق المضيق امام السفن الحربية التابعة للبلدان المنخرطة في حرب، مما يمكن ان يحد من سلطة تركيا في منع دخول السفن الحربية الروسية الى البحر الاسود او الخروج منه، اذ ان هذه المادة تتيح للسفن التابعة للبلد المظل على البحر الاسود بالعبور من المضائق، في حال طلبت العودة الى قواعدها.

على استعداد لتقديم المساعدة الانسانية لمواطني اوكرانيا. لدى اسرائيل خبرة طويلة في الحروب، والحرب ليست السبيل لحل النزاعات".

يسترسل الوزير الاسرائيلي بالاشارة الى ان "هناك عشرات الالاف من الاسرائيليين في كلا البلدين، وهناك مئات الالاف من اليهود في كلا البلدين. ان حماية امنهم ورفاهيتهم هو ما يوجه اتخاذ القرار لدينا".

في الحقيقة، ان اسرائيل تراهن على ما يبدو على ابناء الطائفة اليهودية في اوكرانيا تحديدا، لعلها تنجح مبكرا او تدريجا، في استمالتهم للهجرة. المندوب الاسرائيلي في الجمعية العامة للأمم المتحدة قال حرفيا عندما صوتت اسرائيل تأييدا لقرار اذانة الهجوم الروسي "تعرب اسرائيل عن قلقها بازاء سلامة شعب اوكرانيا، بمن فيهم المواطنين الاسرائيليون الكثر المقيمون هناك والمجتمعات اليهودية الكبيرة في المناطق المتضررة".

لكن هذه المنطق لم يشفع للحكومة الاسرائيلية التي وجدت ان علاقاتها مع روسيا اقتصاديا وامنيا الى جانب التنسيق العالي المستوى عسكريا، خاصة في سوريا، اصبحت على المحك. كما ان دول الغرب،

اللحظات الاخيرة، ضمانات من واشنطن بأن العقوبات المفروضة عليها بسبب الحرب، لن تعرقل التجارة والاستثمارات والتعاون العسكري التقني بين روسيا وايران. وقالت "نحن لا نلعب، دعونا نعقد صفقة".

مع التوقف المفاجئ والموقت للمفاوضات في 10 اذار، قال عبد اللهيان انه "لا يوجد اي تبرير منطقي لبعض من الطلبات الجديدة التي قدمتها الولايات المتحدة"، لكنه لم يحددها رغم قوله انها "تتناقض" مع الموقف الاميري "الداعي الى ابرام اتفاق سريعا"، مضيفا ان واشنطن "لا يمكنها ان تبعث الينا يوميا رسالة جديدة ومختلفة". في حين كرر السيد خامنئي القول ان بلاده لن تساو على عناصر "القدرة الوطنية"، مما يشمل التقدم النووي والنفوذ الاقليمي والدفاع.

قبل ذلك بساعات، انتقد المبعوث الروسي الى فيينا ميخائيل اوليانوف، المواقف الغربية رافضا توجيه اللوم الى روسيا في اطالة المفاوضات. وبعدما بدا ان الامور اتخذت فجأة مع المطالب الاميركية الجديدة، وضعا مختلفا، اذ قررت طهران "تعليق" حضورها في المحادثات الثنائية التي كانت ستجمعها مع السعوديين بضيافة بغداد، وذلك بعد ساعات على اعلان السلطات السعودية، اعدام اكثر من 80 شخصا، بينهم العشرات من ابناء منطقة القطيف السعودية. ثم بعدها بساعات اخرى، تعرضت مدينة اربيل في اقليم كردستان الى وابل من الصواريخ البعيدة المدى جرى اطلاقها من ايران. وقال التلفزيون الايراني انها استهدفت موقعا سوريا للموساد الاسرائيلي، مما اثار تساؤلات عما اذا كان الامور تتجه نحو انهيار ما، او مجرد شد حبال اخير لدفع التسوية النهائية.

في هذا الوقت، كانت اسرائيل في موقف اكثر حرجا اذ لاطما اعتبرت نفسها في حالة وفاق مريح مع الطرفين المتحاربين، اي روسيا واوكرانيا، وهي حاولت السير بتوازن بينهما عندما كانت غيوم الازمة تتجمع، الا انه مع بداية الهجوم الروسي، ادانه وزير الخارجية الاسرائيلي يائير لابيد قائلا انه "انتهاك صارخ للنظام الدولي. تدين اسرائيل الهجوم وهي

الصفقة، كما فعل الرئيس السابق دونالد ترامب في العام 2018". في كل الاحوال، وجدت ايران نفسها بين خيارين تحاول التوفيق بينهما، فهي من جهة تريد اتفاقا نوويا ناجحا يعزز مكانتها ومصالحها، وفي الوقت نفسه، لا تريد الانجرار الى لعبة عزل روسيا وتطويقها. ليس سرا ان العديد من التحليلات افترضت ان انفتاح الابواب امام طهران، هو في الواقع مطلب غربي في هذه اللحظة، حيث تراهن دول المواجهة مع بوتين، بأن النفط والغاز الايراني في امكانه تعويض اي نقص متوقع في امدادات الطاقة العالمية. لكن ثمة موقفا لافتا عبّرت عنه وكالة وزارة الخارجية الاميركية فيكتوريا نولاند عندما قالت امام لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ الاميري، ان روسيا لن تنجح في طلبها، في

الاميري في اوكرانيا، واثارة الثورة المخملية، وانقلاب الالوان في بقية الدول، مما تسبب في الازمات.

المعادلة الايرانية، اوضحها وزير الخارجية الايراني حسين امير عبد اللهيان، خلال مباحثات هاتفية في 8 اذار مع وزير خارجية روسيا سيرغي لافروف، حيث اكد "اننا نعارض الحرب وفرض العقوبات".

رغم ذلك، يمكن القول ان تفاقولا سريعا ظهر في ظل الاجواء الساخنة التي سبقت اندلاع شرارة الحرب فعليا، في ما يتعلق بالمفاوضات النووية الايرانية، ثم بدا ان التطورات اللاحقة اظهرت ان تدفق الدبابات الروسية عبر الحدود الاوكرانية، فتح ابواب تقدم تفاوضي في فيينا. وذكرت صحيفة "فايننشال تايمز" ان الجانبين الاميري والايراني "يحتاجان بالفعل الى اتفاق، وهناك استعداد لدى الجانبين، لكن المشكلة الاكبر هي الثقة"، مشيرة نقلا عن مصادر ان قطر تلعب دور بناء الثقة، من خارج كواليس قاعات فيينا، حيث نقلت الدوحة "رسائل بين الاطراف وسعت الى تهدئة المخاوف الايرانية، مما في ذلك تلك المتعلقة بمطلبها ان تقدم ادارة الرئيس جو بايدن ضمانا بعدم قدرة اي حكومة اميركية مستقبلية على التخلي من جانب واحد عن

## ميك تركي نحو اوكرانيا فهك يغفر بوتين لاردوغان؟



الرئيس الاوكراني فولوديمير زيلينسكي مع جنوده.